فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

سلسلة :"يُحِبهم ويُحِبونه"

أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

لفضيلة الشيخ : مسعد أنــور

رابـط الــمادة : http://www.way2allah.com/khotab-item-28003.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله و أزواجه وأصحابه وأتباعه ومن والاه. أما بعد..

إخوتي في الله، أخواتي في الله إني أحبكم في الله، والله اسأل أن يجمعني وإياكم دائمًا وأبدًا في الدنيا على طاعته وفي الآخرة في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا.

أحبتي في الله هذا هو لقاؤنا الخامس في هذه السلسلة المباركة والتي جعلناها تحت عنوان يُحبهم ويُحبونه سائلاً المولى عز وجل أن يجعلني وإياكم من الذين يُحبهم ويُحبونه.

يقول الله عز وجل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" المائدة: ٥٤

اللهم اجعلنا منهم، اللهم اجعلنا معهم، ما هي صفاتهم يا رب؟ "أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" المائدة: ٥٤

عنوان الحلقة "أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ".

قال ابن كثير "هذه صفات المؤمنين الكُمَّل ترى الواحد منهم يذل لأخيه ووليه، يتعزز على خصمه وعدوه".

كما قال ربنا في موضعٍ آخر "أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ" الفتح: ٢٩

الله يحب المسلم العزيز

الله لا يحب للمسلم أن يُذَل، إن العزة والإباء والكرامة والشموخ، إن اعتزاز المسلم بنفسه إنما ينطلق من اعتزازه بدينه، بقرآنه، بربه، بنبيه فهو اعتزاز الإيمان لا كبرياء وطغيان، يجب على كل مسلم أن يعتز بأنه مسلم بأنه من أمةٍ على رأسها رسول الله محمد، بأن ربه الله، ينبغي عليه ألا يذل، ألا ينكسر، ألا يسوِّد وجهه بالخزي، الإسلام ألقى في نفس كل مسلمٍ التبرُّم والقلق من أي وضع يخدش الكرامة، من أي وضع يُزيل الكرامة، يجرح المكانة.

قال تعالى للصحابة وهم مهزومون في أُحُد "وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" آل عمران: ١٣٩

أنت أيها المسلم اعلُ لأنك من أعلى أمةٍ، كتابك أعلى كتاب، نبيك سيد الرُسُل، ربك عز وجل على كل شيءٍ قدير، أعلى منهاجًا، أعلى تاريخًا، أعلى حضارةً "وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" آل عِمران:١٣٩

الإسلام ألقى في نفس كل مسلم التبرُّم من أي وضعٍ يخدش الكرامة أو يجرح المكانة.

يا مسلم كل الخبز بالملح الأجاج ولا تُطأطئ رأسك لأحد عِش عزيزًا، عِش كريمًا، لا تُطأطئ جبينك إلا لله، لا تحني عودك إلا لله، لا تُغبِّر جبينك إلا لله، بل إن الإسلام أمر المسلم أن يهجُر موطن الضعف إلى موطن القوة، وأن يترك موطن الذُل إلى موطن العِز.

ماذا قال ربنا في هذا الشأن؟ قال جل جلاله وهو يبين أن العزة كلها له وحده، وأن طاعة الله تجلب العز في الدارين قال تعالى "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا" فاطر: ١٠ العِزة كلها في يد الله، مَن أراد أن يحيا كريمًا، عزيزًا فليذل لله عز وجل، فالأمر كله بيده والمُلك ملكه سبحانه.

"قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ" اللهم أعزنا بعزتك "وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ" آل عِمران:٢٦ اللهم لا تُذلنا إلا لك يا عزيز إنك على كل شيءٍ قدير.

والله يا مسلمين ليس لنا كرامة ولا سؤدُد ولا مكانة ولا شموخ ولا قيمة إلا إذا أطعنا العزيز.

العِزَّة في طاعة الله عز وجل

ورضي الله عن عمر عندما قال لأبي عُبيدةً كلمةً سُطِّرت بحروفٍ من نور في صفحات التاريخ قال: لقد كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غير الإسلام أذلنا الله".

العزة لن نتسولها من شرقٍ أو من غربٍ، العِزة عند الله، العِزة في طاعة الله عز وجل، مَن أراد أن يعز بماله أو بمنصبه أو بعشيرته أو بحسبه أو بنسبه سيُذله الله عز وجل.

والواقع خير شاهد أرادت الأمة أن تعز بأمريكا، أرادت أن تعز بأوروبا، أرادت أن تعز بروسيا، أرادت أن تعز بهيئة الأمم، أرادت أن تعز بمجلس الأمن، ما الذي جرى؟! ماذا فعلنا؟!

فيا أمة والله لن تعزوا إلا بطاعة الله، لن تتقووا إلا إذا كنتم مع الله عز وجل.

استمعوا إلى القرآن يقول تعالى "بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" مَن هم يا رب؟ "الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا" النساء١٣٨:١٣٩

ورد الله على المنافقين الذين سبّوا الرسول وقالوا "لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" المُنافقون:٨

رد ربنا عليهم وكشفهم وقال "يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" استمع إلى رد الله قال "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" المُنافقون:٨

مَن يُرد العِزة.. العِزة في طاعة الله، العِزة في طاعة رسول الله، العِزة في الإيمان بالله، العزة في الائتمار لأمر الله،

العِزة في تحكيم شريعة الله، العِزة في الوقوف عند حدود الله، العِزة في الانتهاء بنواهي الله.

ما هي الأسباب التي تجلب الذل؟

أولاً: معصية الله

وبيَّن ربُنا أن من أسباب الذل معصية الله، إن المعصية تُجلِب الذُل يا إخواني قال تعالي "إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ" الأعراف: ١٥٢

إذن الذنوب تُجلِب الذُل، وصف الله حال المؤمنين مع بعضهم وأعدائهم بقوله "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ" المائدة: ٥٤

فهل يا تُري هذا حال المسلمين الآن؟ هل نحن أذلة على بعضنا؟ متواضعين، قريبين، ليِّنين، حبيبين، سهلين هل نحن أعزة علي أعدائنا أم أننا أصبحنا على بعضنا أسود وعلى أعدائنا نعام ونعاج إلا من رحم الله.

وصدقت غزالة عندما وبَّخت وبكَّتَت وقرَّعت الحَجاج الطاغية بقولها: أسدٌ عليَّ وفي الحُروب نعامةٌ، غزالة هذه امرأة مُقاتلة، في المعركة واجهت الحجاج وجهًا لوجه ففرَّ كالأرنب فوبَّخته ببيتين ذاعا وانتشرا، تقول له:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ فطخاء تنفرُ في صفير الصافرِ

هلّا برَزْت إلى غزالةٍ في الوَغى أم كان قلبُك في جناحَي طائـر

تقول له يا داهية وقلبك في جَناح عصفورة، يا إخواني ينبغي أن نكون على بعضنا أذلة وعلى أعدائنا أعزة كما قال عطاء: "المؤمن للمؤمن كالوالد لولده ومع عدوه كالسَّبع علي فريسته".

ما هي أسباب الذل؟ معصية الله، روى الإمام أحمد في المُسند واللفظ له والحديث حسنٌ صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وجُعلَ الذُلُ والصَغارُ على مَن خالف أمري ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم" النبي يقول مَن خالف أمري أذَلَّه الله.

وروى أبو داود في سُننهِ والحديث صححه الألباني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تبايعتم بالعِينة" الربا، إذا خرجت الفتاوي ذوات البلاء التي تُبيح الربا "إذا تبايعتم بالعِينة" والعِينة نوعٌ من أنواع الربا، والربا أنواع، والعِينة هي أن يبيع الرجل للرجل سلعةً بثمنٍ معلوم لأجلٍ مُسمى ثم يشتريها منه بثمن آجِل، أقول المُبرِّد هذا بِعه لي، يقول هو بألفٍ من الجُنيهات بالتقسيط، إذن خُذ مائة جُنيه وبعد أن آخذها أقول لهُ هلّا اشتريتها بثمانمائة جُنيه؟

ثم أشتريها ممن اشتريتها منه بالآجل بثمن دون الثمن، هذا اسمه عِينة، هذا نوعٌ من أنواع الربا غرق فيه مئات الموظفين الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله فهذا يجلب الذل.

قال رسول الله صلي الله علية وسلم: "إذا تبايعتُم بالعِينة وأخذتُم أذناب البقر ورضيتُم بالزرع" أي التصقتم بالتُراب والوحل "وتركتُم الجهاد سلَّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكُم" صححه الألباني

الذنوب يا إخواني هي التي أذلَّت الأمة، بالله ما انتصر اليهود علينا بقوتهم.. بل بضعفنا، بالله ما انتصر اليهود علينا بوحدتهم.. بل بتفرُّقنا، بالله ما انتصر اليهود علينا بعقيدتهم.. بل بتركنا لتنفيذ أوامر ديننا، ولقد كان من دعاء بعض الصالحين يا رب أعزني بطاعتك ولا تُذلني بمعصيتك.

قول الحسن البصري:

ولله در الحسن البصري عندما قال رحمه الله عن العُصاة "إنهم وإن طقطقت بهم البغال" القوم المجرمين العصاة الفجرة الفسقة الكفار إنهم وإن طقطقت بهم البغالُ وهَمْلَجت بهم البرازينُ، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم "أبى الله إلا أن يُذل مَن عصاه" تدارسوا هذه الجُملة "أبى الله إلا أن يُذل مَن عصاه" انتبه من المُمكن أن يكون مسؤول، جائز يكون له كرسي، جائز يكون لهُ مكانة، ولديه زوجة تُذلهُ، وعنده ولدٌ يُذله، ولديه رئيس يُذله "أبى الله إلا أن يُذل مَن عصاه".

قول ابن المبارك:

ولله در بن المبارك عندما قال:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ وقد يورثُ الذُلَ إدمانُها
وتـركُ الذنوبِ حياةُ القلـوبِ وخيرٌ لنفسك عصيانُها
وهـل أفسد الديـنَ إلا المُلوك وأحبـارُ سوءٍ ورُهبانُها

ثانيًا: حُب الدنيا وكراهية الموت

قال رسول الله والحديث صحيح وأشهر من أن يُذكر "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكَلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قِلة يومئذ؟" قالوا أمِن قلةٍ نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ حتى يوشك أن تتداعى علينا الأمم؟ "قال لا"، بل أنتم يومئذٍ كثير مليار ونصف المليار "ولكنكم غثاء كغثاء السيل"، مثل زَبَد البحر فقاقيع الهواء "يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم؛ لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت" صححه الألباني

كان أبو بكر إذا ودَّع الجيش قال: "أحرصوا على الموت توهب لكم الحياة".

وفي الحديث "إذا تبايعتم بالعِينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذُلاً" صححه الألباني إذا انتشرَ الظُلم، إذا أُكِل الربا، إذا أخلَد الناس إلى الدنيا، إذا اشتروا العذاب بالمغفرة، إذا باعوا الآخرة بالدنيا، إذا التصقوا بالوحل، إذا تركوا الأخذ بأسباب القوة، إذا تركوا مُجاهدة العدو سلَّط الله عليهم ذُلاً لن ينتهي أبدًا حتى يرجعوا إلى الله عز وجل.

ثالثًا: الإيمان الانتقائي

تجد امرأة تُصلي ولا تتحجب، مَن الذي فرض عليكِ الصلاة يا أَمَة الله؟ الله، مَن الذي فرضَ الحجاب؟ الله، ما هذا أتنتقي؟! الإيمان ذو الانتقاء يجلب الذل، قال تعالي "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" ذُل "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" البقرة:٨٥

اللهم اجعلنا أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين اللهم اجعلنا من الذين تُحبم ويُحبونك آمين، آمين.

أحبكم في الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36